

فنون البلاغة

الجزء الثاني
للفصاحي الحادي عشر

فنون البلاغة

الجزء الثاني

للمصف الحادي عشر

تأليف

د. نوري يوسف الوتار (مشرفاً)

د. محمد طاهر الحمصي	أ. عبدالله الخضري
أ. سالم رجب الأنصاري	أ. فؤاد عبدالفتاح الحداد
أ. رجب حسن العلوش	أ. نجيبة مندي
أ. بدريّة دهراب	أ. عواطف عبدالحميد مرعي

الطبعة الثانية

١٤٤٠ - ١٤٤١ هـ

٢٠١٩ - ٢٠٢٠ م

حقوق التأليف والطبع والنشر محفوظة لوزارة التربية - قطاع البحوث التربوية والمناهج
إدارة تطوير المناهج

الطبعة الأولى ٢٠٠٣ / ٢٠٠٤ م

الطبعة الثانية ٢٠٠٧ / ٢٠٠٨ م

٢٠٠٩ / ٢٠١٠ م

٢٠١٠ / ٢٠١١ م

٢٠١٢ / ٢٠١٣ م

٢٠١٤ / ٢٠١٥ م

٢٠١٦ / ٢٠١٧ م

٢٠١٨ / ٢٠١٩ م

٢٠١٩ / ٢٠٢٠ م



الكتاب كاملاً



شاركنا بتقييم مناهجنا

أعضاء لجنة المواءمة :

رئيساً	الموجه العام للغة العربية	أ. عائشة عبدالمحسن الروضان
عضواً	الموجهة الأولى - منطقة الفروانية	أ. خولة عبداللطيف العتيقي
عضواً	الموجهة الأولى - منطقة العاصمة .	أ. سميرة عبدالقادر اليعقوب
عضواً	الموجهة الأولى - إدارة التعليم الخاص .	أ. مكية ابراهيم الحاج
عضواً	موجه فني - منطقة العاصمة .	أ. عبدالعظيم علي محمد
عضواً	موجهة فنية - منطقة الأحمدية .	أ. فريدة يوسف محمد
عضواً	موجه فني - منطقة مبارك الكبير .	أ. رجب حسن علوش
عضواً	موجهة فنية - إدارة التعليم الخاص .	أ. بدرية سلطان دهراب
عضواً	موجه فني - منطقة حولي .	أ. جهاد سالم الحجلي
عضواً	موجهة فنية - منطقة الفروانية .	أ. فوزية محمد الزامل
عضواً	موجهة فنية - منطقة مبارك الكبير .	أ. نجية حاجي مندي
عضواً	موجه فني - منطقة الفروانية .	أ. عدنان بلبل الجابر
عضواً	موجه فني - منطقة مبارك الكبير .	أ. فاروق سعيد الزين
عضواً	موجه فني - إدارة التعليم الخاص .	أ. صبر سمير العنزي
عضواً ومقرراً	باحثة تربوية - إدارة تطوير المناهج .	أ. فضة مرزوق المطيري

تم التعديل بناء على توصيات لجنة مواءمة كتب اللغة العربية مع السلم التعليمي الجديد ونظام التعليم الثانوي الموحد للعام الدراسي ٢٠٠٥ - ٢٠٠٦ م الصادر قرار تشكيلها في ١٢ / ١٢ / ٢٠٠٤ م تحت رقم ١٣٢٥٢.

طبع في: شركة مطابع الخط

أودع بمركز المعلومات التربوية تحت رقم (١١٧) بتاريخ ٢٩ / ٥ / ٢٠٠١ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



صَلَّى السُّلْطَانُ الشَّيْخُ صَبَّاحُ الْأَحْمَدُ الْجَابِرُ الصَّبَّاحُ
أَمِيرُ دَوْلَةِ الْكُوَيْتِ



سَيِّدُ الشَّيْخِ نَوَافُ بْنُ فَهْدٍ الْجَبَرُ بْنُ الصَّبَّاحِ
وَلِيَّ عَهْدَ دَوْلَةِ الْكُوَيْتِ

المحتوى

الموضوع	الصفحة
- مقدمة	١١
- الأهداف السلوكية للنقد والبلاغة	١٣
- توجيهات خاصة بتدريس البلاغة	١٥
المبحث الأول: القَصْرُ	١٦ - ٢٥
أولاً: مفهوم القَصْر وطرقه	١٦
ثانياً: أقسام القصر	٢١
أ- القصر الحقيقي والقصر الإضافي	٢١
ب- القصر باعتبار طرفيه	٢٢
- تدريب	٢٤
المبحث الثاني: الإيجازُ	٢٦ - ٣٣
- إيجازُ القَصْرِ	٢٧
- إيجازُ الحذفِ	٢٩
- تدريب	٣٢
المبحث الثالث: الإطنابُ	٣٤ - ٤٥
- تدريب	٤٣

المحتوى

٤٦ - ٤٨	المبحث الرابع : المساواة
٤٩	- تدريب
٥٠	المراجع

المقدمة

أبناءنا الطلاب :

ما زالت لغتكم الجميلة تبسط لكم جناحيها لتحلقوا بها في آفاق العلم والأدب ، تجنون ثمار غرس الآباء لتزرعوا منها رياضاً جديدة نرجوها ثمرة ليتواصل عطاء العربية عبر الأجيال .

أبناءنا الطلاب :

لقد جالت بكم العربية في المناهج السابقة من كتب البلاغة في رياض الخبر والإنشاء ، وتتمة لتطوافها بكم في حقول المعاني فإنها تصحبكم عبر هذا الكتاب إلى منارة جديدة هي القصر ، والإيجاز ، والإطناب ، والمساواة تناقش معكم أمثلتها مناقشة تفضي إلى قواعدها ، موهبة للحس النقدي ، مربية لملكات التذوق الفني علها بذلك تضيف إلى أعلامكم ألواناً جديدة من الأحبار تتركش نقش العربية الرائع .

المؤلفون

الأهداف السلوكية للنقد والبلاغة

- يستخدم المتعلم الصور البيانية والمحسنات البديعية التي درسها استخداماً دقيقاً .
- يبين المقصود بالقصر في عددٍ من الجمل المعبرة عنه
- يحلّل أسلوب القصر مبيناً طرفيه (المقصور والمقصور عليه) .
- يتعرف المقصور عليه بعد أداة الاستثناء ، ومع إنما ، وعند استخدام العطف بلا أو لكن أو بل ، وعند تقديم ما حقه التأخير .
- يستخدم أسلوب القصر بطرقه الأربعة في ممارساته اللغوية .
- يميز بين قصر الصفة على الموصوف وقصر الموصوف على الصفة .
- يوضح مفهوم كل من الإيجاز والإطناب والمساواة .
- يصنف عدداً من العبارات مبيناً ما استُخدم فيها الإيجاز ، وما استخدم فيها الإطناب ، وما استخدمت فيها المساواة .
- يميز بين الإطناب الذي جاء فيه ذكر العام بعد الخاص ، والذي جاء فيه ذكر الخاص بعد العام .
- يأتي بمثال من إنشائه لكل من الإطناب الذي أفاد الاحتراس ، والإطناب الذي أفاد الاعتراض ، وذلك الذي أفاد التذييل .
- يأتي بمثال من إنشائه لكل من الإطناب الذي أوضح مبهماً ، والذي جاء بتكرار لداعٍ ولِفائدةٍ .
- يحلّل تعبيراً تحققت فيه مساواة الألفاظ للمعاني مبيناً أحوال استخدام مثل ذلك .
- يستخدم الأساليب الخبرية والإنشائية استخداماً صحيحاً .
- يميز بين الدلالات البلاغية لكل من أساليب الخبر وأساليب الإنشاء .

توجيهات خاصة بتدريس البلاغة

على الرغم من الطاقة التعبيرية الهائلة للغة العربية بما يتيح للمبدعين من الناطقين بها مجالاً رحباً للإبداع ، وعلى الرغم من جهود العلماء المسلمين على امتداد القرون كتأصيل المفاهيم البلاغية والاستشهاد لها . على الرغم من ذلك كله لانجد العرب قد خلفوا لنا نظرية نقدية يمكن أن تُنسب إليهم ، فلمه؟

لقد كانت الجناية الكبرى على مسيرة النقد الأدبي عند العرب أن صرّفوا جُلَّ اهتمامهم إلى التقييد وصوغ المفاهيم البلاغية في قواعد مقررة ، بإزاء كل منها شواهد عليها من القرآن الكريم والنثر والشعر دون العناية بتربية الحس النقدي لدى الناشئة من خلال تعهد مهارات التذوق الفني لديهم . ولذا لزاماً علينا - نحن المعلمين - أن نصرف كل اهتمامنا إلى إرهاب الحس النقدي لدى الطلاب ، وإكسابهم مهارات التذوق الفني في كل وقفة بلاغية ، فإدراك مواطن القبح أو الجمال في التعبير أهم من إجراء صورة بيانية أو شرح مصطلح بلاغي .

وإذا كانت القواعد والتدريب على استنباطها والقياس عليها أمراً لازماً لترسيخ المفاهيم البلاغية فإنه يجب ألا يكون ذلك غاية قصدينا من الدرس البلاغي ، كما يجب ألا يكون ذلك على حساب مهارات التذوق الفني .

القَصْرُ

القَصْرُ لغةً : الحبس والإلزام ، تقول : قَصَرْتُ نفسي على الشيء إذا حَبَسْتُهَا عليه ، وألَزَمْتُهَا إِيَّاه ، وتقول : قَصَرْتُ الشيء على كذا إذا لم تجاوز به إلى غيره ، ومن القَصْرِ بمعنى الحبس قولُ الله تعالى : ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴾^(١)

أي قَصِرْنَ ، وحَبَسْنَ على أزواجهنَّ ، فلا يَطْمَحْنَ لغيرهم .
هذا هو معنى القَصْرِ في اللغة ، فما القَصْرُ في اصطلاح البلاغيين ؟ وما طَرِيقُهُ ؟ وما مكوّناتُهُ ؟ وما أقسامُهُ ؟

أولاً - مفهوم القصر وطريقه :

الأمثلة :

١ - لا يعلم الغيب إلا الله .

يقول أبو تمام :

بَصُرْتُ بِالرَّاحَةِ الْكُبْرَى فَلَمْ تَرَهَا تُنَالُ إِلَّا عَلَى جِسْرٍِ مِنَ التَّعَبِ

٣ - يقول الله تعالى :

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾^(٢)

٤ - ويقول شوقي :

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن همو^(٣) ذهب أخلاقهم ذهبوا

٥ - صداقة الجاهل تعب لا راحة .

(١) الرحمن (٧٢) .

(٢) فاطر، من الآية (٢٨) .

(٣) الواو هنا ناشئة عن إشباع الضمة على ميم الجمع، وهي لغة فصيححة في ضمير الغائبين .

٦ - يقولُ ابنُ الرومي:

أمواله في رِقَابِ النَّاسِ مِنْ مَنْ لا في الخزائنِ من عَيْنٍ ^(١) ومن نَشَبٍ ^(٢)

٧ - يقولُ الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ ^(٣)

٨ - ما الأرضُ ثابتةٌ بل متحركةٌ.

٩ - ما الأرضُ ثابتةٌ لكن متحركةٌ

١٠ - لا أجيدُ الشعرَ لكن الخطابةَ.

* * *

١١ - يقولُ الله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ^(٤)

١٢ - يقولُ الشاعرُ:

وحياته أعطى الشهيدَ لقومه أتري أجلَّ من الحياةِ عطاءً ^(٥)؟

* * *

البيان :

اقرأ المثال الأول (لا يعلم الغيب إلا الله)، ثم اجعله بإزاء قولنا: (يعلم الله الغيب)، ووازن

بينهما، ماذا تلاحظ؟

عند قراءتنا (يعلم الله الغيب) نستفيدُ إسنادَ علمِ الغيبِ إلى الله تعالى دون تخصيص له

سبحانه بهذا العلم، فهذا التعبير (يعلم الله الغيب) لا ينفي عن غيرِ الله علمَ الغيبِ، أما قولنا

(١) العينُ: الذهبُ والفضةُ:

(٢) النَّشَبُ: المالُ.

(٣) آلُ عمرانَ (١٦٩).

(٤) الفاتحة (٥).

(٥) حرفُ الرويِّ لا يُنَوَّنُ، والوقفُ على كلمة (عطاء) يكونُ بالألفِ.

(لا يعلم الغيب إلا الله) فيعني تخصيص الله تعالى بعلم الغيب، فمن أين جاء هذا التخصيص؟ بالنظر إلى التعبيرين يتضح أن التخصيص قد تحقق بوساطة أداتي النفي والاستثناء، قد انتفى علم الغيب بأداة النفي (لا)، ثم انتقض هذا النفي بأداة الاستثناء (إلا) ليثبت علم الغيب الله وحده، أي يُقصر علم الغيب على الله وحده، ففي هذا المثال (لا يعلم الغيب إلا الله) قصر علم الغيب على الله وحده عن طريق النفي والاستثناء. فعلم الغيب مقصور، ولفظ الجلالة مقصور عليه، وطريق القصر هو النفي والاستثناء.

تأمل المثال الثاني تجد أن القصر قد تحقق فيه هو الآخر عن طريق النفي والاستثناء. وإذا تدبرنا كل أساليب الاستثناء المسبوقة بنفي أو شبه نفي ^(١) نجدها قد خصصت شيئاً بشيء آخر، أي قصرت شيئاً على شيء آخر، وأن المقصور عليه دائماً يقع بعد أداة الاستثناء. لاحظ قولنا: (لا يفوز إلا المجد) تجد هذا الأسلوب قائماً على نفي واستثناء، وقد قصر الفوز على المجد عن طريق نفي الفوز، ثم نقض هذا النفي بالاستثناء ليثبت الفوز للمجد دون غيره، فطرفا القصر هنا (الفوز) مقصور، و (المجد) مقصور عليه.

انظر في المثالين الثالث، والرابع تجد أن خشية الله تعالى قد قصرت على العلماء من عباده، كما تجد بقاء الأمم مقصوراً على بقاء الأخلاق فيها. ومثل ذلك يقال في نحو «إنما يتذكر أولو الألباب» فالتذكر في القول السابق مقصور على أولي الألباب، والذي حقق هذا المعنى هو استخدام (إنما). فالطريق الثاني للقصر بعد النفي والاستثناء هو (إنما).

اقرأ المثال الخامس (صداقة الجاهل تعب لا راحة) تجد صداقة الجاهل قد حُكم عليها بالتعب، فماذا أفاد العطف (لا راحة) في مضمون الكلام؟

إننا حين نحكم على صداقة الجاهل بأنها تعب لا يعني ذلك قصر صداقة الجاهل على التعب لأن التعب قد يفارقها إلى الراحة، أما حين نعطف الراحة على التعب بالحرف (لا) فإننا

(١) المقصود بشبه النفي النهي والاستفهام الإنكاري.

ننفي بذلك مفارقة صداقة الجاهلِ التعبِ إلى الراحةِ، لتبقى صداقةُ الجاهلِ مقصورةً على التعبِ، لا تفارقهُ إلى غيرِه، فطرقُ القصرِ هنا كان العطفُ بلا، والمقصورُ عليه المقابلُ ما بعد (لا).

وفي بيتِ ابنِ الرومي حُكْمٌ على أموالٍ ممدوحةٍ باستقرارها في رقابِ الناسِ مِنَّا تطوُّقٌ أجيادهم، ولكي يقصرَ الشاعرُ مصارفَ إنفاقٍ ممدوحه في المنِ نفى عنها أن تكونَ مستقرةً في الخزائنِ عن طريقِ العطفِ بلا النافيةِ التي جعلتَ مقابلَ ما بعدها مقصوراً عليه.

تأملِ المثالين: السابعُ والثامنُ تجدُ الأولَ منهما ينهى عن عدِّ القتلى في سبيلِ الله أموالاً، وتجدُ الثانيَ ينفي عن الأرضِ صفةَ الثباتِ، ولما كان ظاهرُ الحالِ خلافاً لما ذُكرَ كان العطفُ بحرفٍ يفيدُ الإضرابَ ليقصرَ القتلى في سبيلِ الله على الحياةِ دونَ الموتِ، ويقصرَ الأرضَ على الحركةِ دونَ الثباتِ، فالقتلى في سبيلِ الله مقصورون على الحياةِ، والأرضُ مقصورةٌ على الحركةِ، وطريقُ القصرِ هنا هو العطفُ ببل، والمقصورُ عليه ما بعدها.

والمثالان: التاسعُ والعاشرُ بدأ كلُّ منهما بتقريرِ حكمٍ هو نفيُ الثباتِ عن الأرضِ في المثالِ التاسعِ، ونفيُ إجادَةِ الشعرِ عن المتكلمِ في المثالِ العاشرِ، ثم جاء التخصيصُ في كلِّ منهما عن طريقِ العطفِ بالحرفِ (لكن) الذي يفيدُ الاستدراكَ ليقصرَ الأرضَ على الحركةِ دونَ الثباتِ، ويقصرَ إجادَةَ المتكلمِ على الخطابةِ دونَ الشعرِ، فالأرضُ مقصورة على الحركةِ، وإجادَةُ المتكلمِ مقصورة على الخطابه، وقد تحققَ القصرُ عن طريقِ العطفِ بلكن، وجاء المقصورُ عليه بعدها.

انظر في المثالين: الحادي عشر والثاني عشر، تجدُ كلاَّ منهما قد بدأ بمفعولٍ به تقدمَ على الفعلِ والفاعلِ، وحقُّ المفعولِ أن يتأخَّرَ عنهما، فماذا أفادَ تقديمُ ما حقُّه التأخيرُ؟ إن تقديمَ الضميرِ في قولِ الله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ . أفادَ تخصيصَ الله تبارك وتعالى بالعبادة والاستعانةِ دونَ غيرِه، فعبارة (نعبدُك ونستعينُك) لا تُفيدُ هذا التخصيصَ، إذ يحتملُ المعنى هنا إشراكَ غيرِه في العبادةِ والاستعانةِ، أمَّا قولنا ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فيعني نعبدُك وحدك، ونستعينُك وحدك أي لا نعبدُ إلا إياك، ولا نستعينُ إلا بك، وهذا يعنى تخصيصه

سبحانه وتعالى بالعبادة والاستعانة، أي أن العبادة والاستعانة مقصورتان عليه، وقد تحقق القصرُ عن طريق تقديم ما حقه التأخيرُ، والمقصورُ عليه هو المقدمُ.

ويسهلُ عليك أن تتبينَ طريقَ القصرِ، وتعيّنَ المقصورَ عليه من خلالِ الموازنةِ بين قولِ الشاعر: «وحياته أعطى الشهيدَ لقومه» وقولنا: (وأعطى الشهيدُ حياته لقومه)، فتقديمُ المفعولِ (حياته) أفاد تخصيصَ حياةِ الشهيدِ بالإعطاء، أي قصرَ الإعطاءِ عليها. فطريقُ القصرِ هنا هو تقديمُ ما حقه التأخيرُ. ومن ذلك تقديمُ الجارِّ والمجرورِ في قولِ المتنبي:

برجاءِ جودِكَ يُطرَدُ الفقرُ وبأن تُعادي ينفدُ العمرُ

وتقديمُ الخبرِ في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(١)

الخلاصة:

- القصرُ تخصيصُ أمرٍ بآخرٍ بطريقٍ مخصوصٍ.
- طرقُ القصرِ المشهورةُ أربعةٌ^(٢):
- أ - النفي والاستثناء، وهنا يكون المقصورُ عليه ما بعدَ أداة الاستثناء.
- ب - إنما، ويكون المقصورُ عليه مؤخرًا وجوبًا.
- ج - العطفُ بلا، أو بل، أو لكن، فإن كان العطفُ بلا كان المقصورُ عليه مقابلًا لما بعدها، وإن كان العطفُ (بل) أو (لكن) كان المقصورُ عليه ما بعدهما.
- تقديمُ ما حقه التأخيرُ، وهنا يكون المقصورُ عليه هو المقدمُ.
- لكلِّ قصرٍ طرفان: مقصورٌ، ومقصورٌ عليه.

(١) آل عمران. من الآية (١٨٩).

(٢) هناك طرق للقصر غير هذه الأربعة، منها ضمير الفصل، نحو: عليّ هو الشجاع، ومنها التصريح بلفظ (وحده) أو (ليس غير)، ولكنها لا تعد من طرقه الاصطلاحية.

ثانياً - أقسامُ القصرِ

أ - القصرُ الحقيقيُّ والقصرُ الإضافيُّ

الأمثلة:

- ١ - قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ ^(١).
- ٢ - وقال: ﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ ^(٢).
- ٣ - وقال: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾ ^(٣).
- ٤ - إنما يدومُ السرورُ برؤيةِ الإخوانِ.

البيان:

في ضوءِ ما تقدّمَ من حديثٍ عن طرفي القصرِ (المقصورِ والمقصورِ عليه)، وما علمتَ من موضعِ المقصورِ عليه في كلِّ طريقٍ من طرقِ القصرِ، تستطيعُ أن تحدّدَ طرفي القصرِ في كلِّ مثالٍ مما سبق، ففي المثالِ الأولِ قصرُ التذكُّرِ على أولي الألبابِ، فالتذكُّرُ مقصورٌ، وأولو الألبابِ مقصورٌ عليه. ولما كان التذكُّرُ صفةً من الصِّفاتِ، وأولو الألبابِ هم الموصوفون بتلك الصِّفةِ كان القصرُ هنا قصرَ صفةٍ على موصوفٍ. ولما كان التذكُّرُ صفةً لا تفارقُ أولي الألبابِ إلى موصوفٍ آخرَ فالقصرُ في هذا المثالِ يسمى قصرًا حقيقيًا، وكذلك كل قصرٍ يختصُّ فيه المقصورُ بالمقصورِ عليه اختصاصاً منظوراً فيه إلى الحقيقةِ والواقعِ بالآ يتعدّاهُ إلى غيره أصلاً.

وفي المثالِ الثاني ثلاثةٌ من أساليبِ القصرِ، فالتوفيقُ مقصورٌ على كونه باللَّهِ، والتوكُّلُ مقصورٌ على كونه على اللّهِ، والإنابةُ مقصورةٌ على كونها إلى اللّهِ. والمقصورُ في كلٍّ من الأساليبِ الثلاثةِ صفةٌ من الصِّفاتِ هي: التوفيقُ، والتوكُّلُ، والإنابةُ، وجميعُها صفاتٌ مختصةٌ

(١) الزمر. من الآية (٩).

(٢) هود. من الآية (٨٨).

(٣) آل عمران. من الآية (١٤٤).

باسم الجلالة (المقصور عليه) اختصاصاً حقيقياً لا يتعداه إلى غيره، فالقصرُ في المثالين كليهما قصرٌ حقيقيٌّ.

انظر في المثالين: الثالث والرابع تجد المقصورَ في المثال الثالث (محمد) هو الموصوفُ، وتجد المقصورَ عليه (رسول) صفةً، فالقصرُ هنا قصرٌ موصوفٍ على صفةٍ. ولما كان الموصوفُ يتعذرُ بل يستحيلُ قصرُهُ على صفةٍ واحدةٍ، فالمقصورُ هنا (محمد) ليس مقصوراً على الرسالة وحدها قصرًا حقيقياً، بل قصرٌ عليها بالإضافةِ إلى شيءٍ آخرٍ كالشعرِ مثلاً. وفي المثال الرابع قصرٌ دوامُ السرورِ على رؤيةِ الإخوانِ بالإضافةِ إلى شيءٍ آخرٍ كرؤيةِ الأعداءِ مثلاً، ولا يُنافي هذا أن يدومَ السرورُ برؤيةِ الأهلِ أو غيرهم ممن تُسرُّ النفوسُ برؤيتهم. فالقصرُ في المثالين: الثالث والرابع قصرٌ موصوفٍ على صفةٍ، وقد جاء المقصورُ في كلٍّ منهما مختصاً بالمقصورِ عليه بالإضافةِ أي بالنسبةِ إلى شيءٍ آخر.

ب - القصرُ باعتبارِ طَرَفَيْهِ (١) :

القصرُ - حقيقياً كان أم إضافياً - ينقسمُ باعتبارِ طرفيهِ قسمين، هما: قصرٌ صفةٍ على موصوفٍ، وقصرٌ موصوفٍ على صفةٍ.

١ - قصرٌ صفةٍ على موصوفٍ قصرًا حقيقياً: وهو ما لا تتجاوزُ فيه الصفةُ ذلكَ الموصوفَ إلى أي شيءٍ آخر. ومن ذلك قولنا: ما خلقَ السماواتِ والأرضَ إلا اللهُ.

٢ - قصرٌ موصوفٍ على صفةٍ قصرًا حقيقياً: وهو لا يكادُ يوجدُ، لأنَّ أيَّ موصوفٍ له من الصفاتِ ما يتعذرُ الإحاطةُ بها، فمن المحالِ إثباتُ صفةٍ واحدةٍ له، وقصرُهُ عليها، ونفيُ ما عداها من صفاته الأخرى.

(١) طرفا القصر هما المقصور والمقصور عليه.

- ٣ - قصرُ صفةٍ على موصوفٍ قصرًا إضافيًا: وهو ما لا تتجاوزُ فيه الصفةُ الموصوفَ إلى غيرِه، وإن كان هو يتجاوزُها إلى صفاتٍ أخرى. ومن ذلك قولُنا: لا يتحمَّلُ الشدائدُ إلَّا الأقوياءُ.
- ٤ - قصرُ موصوفٍ على صفةٍ قصرًا إضافيًا: وهو ما لا يتعدَّى فيه الموصوفُ تلك الصفةَ إلى صفةٍ أخرى معينة، وإن كانت الصفةُ تتجاوزُه إلى غيرِه. ومن ذلك قولُنا: ما المتنبِّي إلا شاعرٌ.
- لاحظ أننا لم نمثِّل لقصرِ الموصوفِ على الصفةِ قصرًا حقيقيًّا، لأن هذا النوعَ من القصرِ لا يكادُ يوجدُ.

الخلاصة:

- ينقسمُ القصرُ باعتبارِ الحقيقةِ والواقعِ قسمين:
- أ - حقيقيُّ (١)، وهو أن يختصَّ المقصورُ بالمقصورِ عليه بحسبِ الحقيقةِ والواقعِ بآلٍ يتعدَّاهُ إلى غيرِه أصلاً.
- ب - إضافيُّ (٢)، وهو ما كان الاختصاصُ فيه بحسبِ الإضافةِ إلى شيءٍ معيَّن.
- ينقسمُ القصرُ باعتبارِ طرفيهِ قسمين:
- أ - قصرُ صفةٍ على موصوفٍ.
- ب - قصرُ موصوفٍ على صفةٍ.

(١) يكثرُ في قصرِ الصفةِ على الموصوفِ، ولا يكادُ يوجدُ في قصرِ الموصوفِ على الصفةِ.

(٢) يوجدُ في قصرِ الصفةِ على الموصوفِ وفي قصرِ الموصوفِ على الصفةِ.

١ - عَيَّنَ المقصورَ، والمقصورَ عليه، وطرقَ القصرِ في كلِّ مما يأتي:

أ - يقولُ الله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ ^(١).

ب - ويقولُ سبحانه: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ ^(٢).

ج - يقولُ لبِيدُ بنُ ربيعة:

وما المرءُ إلا كالهِلالِ وضوئه يوافي تمامَ الشهرِ ثم يغيبُ

د - ويقولُ ابنُ الروميِّ في المدح:

معروفُهُ في جميعِ الناسِ مُقْتَسَمٌ فَحَمْدُهُ في جميعِ الناسِ لا العُصَبِ

هـ - لكَ الحمدُ ربَّنَا، بيدِكَ الخيرُ.

٢ - أيُّ التعبيرين الآتين أبلغُ؟ ولماذا؟

أ - إنما حسينٌ يجيدُ الخطابة.

ب - إنما يجيدُ الخطابةَ حسين.

٣ - عَيَّنَ المقصورَ عليه في الجملِ الآتية، وبَيَّنَ الفرقَ بينها في المعنى:

أ - إنما يحبُّ إبراهيمُ المطالعةَ في الأصلِ.

ب - إنما يحبُّ المطالعةَ في الأصلِ إبراهيمُ.

ج - إنما يحبُّ إبراهيمُ في الأصلِ المطالعةَ.

٤ - اجعلِ الجملَ الآتية مفيدةً للقصرِ، ثم بيِّن نوعَ القصرِ وطريقته:

أ - مصاحبةُ اللئامِ شرٌّ.

(١) الرعد. من الآية (٤٠).

(٢) فاطر. من الآية (٤٣).

- ب - طولُ التجاربِ زيادةً في العقل.
- ج - رأسُ الحكمةِ مخافةُ الله.
- ٥ - اجعلِ الجملةَ الآتيةَ دالةً على القصرِ من غير أن تزيدَ على كلماتِها أو تنقصَ:
- نقدُّرُ المجاهدَ الصابرَ.

الإيجاز

أدرك العربُ الأقدمونَ قيمةَ الإيجازِ باعتباره وسيلةً لحفظِ أدبهم وتراثهم، إذ إنهم كانوا أمة تندرُ فيها الكتابةُ والقراءةُ، ولم يكن لها من وسيلةٍ لحفظِ موروثها الفكريِّ واللغويِّ سوى ذاكرة أبنائها. والذاكرةُ مهما كانت قويةً فإنها لا تستطيعُ أن تستوعبَ كلَّ ما يقالُ، ومن هنا كانت الحاجةُ إلى الإيجازِ لدواعٍ حضاريةٍ، أما بعدَ إنشاءِ الدواوين وتوليِّ كثيرٍ من الأدباءِ مهامَّ الكتابةِ فيها فقد أصبحَ الإيجازُ مطلباً بلاغيّاً، يستندُ إلى أسسٍ فنيةٍ.

فما الإيجازُ؟ ومتى يُعدُّ ضرباً من البلاغة؟

وللإجابة عن هذين السؤالين فلننظر في الأمثلة الآتية:

١ - يقول الله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾^(١).

٢ - ويقول تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ﴾^(٢).

٣ - قال رجلٌ لرسولِ الله - صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله أخبرني أمراً في الاسلام قولاً لا أسألُ عنه أحداً بعدك، فقال: «قُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ ثُمَّ اسْتَقِم»^(٣).

٤ - وقال - صلى الله عليه وسلم - : «إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْراً»^(٤).

٥ - قال أعرابيٌّ يمدحُ قوماً من العرب: أولئك قومٌ جعلوا أموالهم مناديلَ لأعراضِهِم.

٦ - قال الرشيدُ في شأنِ البرامكةِ بعد نكبتِهِم: أَنْبَتْهُمْ الطَّاعَةُ، وَحَصَدَتْهُمْ الْمَعْصِيَةُ.



(١) سورة الأعراف (٥٤).

(٢) سورة البقرة (١٧٩).

(٣) مسند أحمد/ كتاب سند المكيين/ حديث ١٤٨٧٠.

(٤) صحيح البخاري/ كتاب النكاح/ حديث ٤٧٤٩.

٧ - قال تعالى في حكاية يعقوب عليه السلام مع بنيهِ: ﴿قَالُوا تَاللّٰهِ تَفْتُوْا تَذَكَّرُ يُوْسُفَ حَتّٰى تَكُوْنَتْ حَرَضًا اَوْ تَكُوْنُ مِنَ الْهٰلِكِيْنَ﴾^(١).

٨ - وقال تعالى: ﴿اِنَّمَا جَزَآؤُا الَّذِيْنَ يُحَارِبُوْنَ اللّٰهَ وَرَسُوْلَهُٓ، وَيَسْعَوْنَ فِي الْاَرْضِ فَسَادًا اَنْ يُقَتَّلُوْا اَوْ يُصَلَّبُوْا اَوْ تُقَطَّعَ اَيْدِيْهِمْ وَاَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ اَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْاَرْضِ﴾^(٢).

٩ - وقال تعالى على لسان العبد الصالح في قصّته مع موسى عليه السلام: ﴿اَمَّا السَّفِيْنَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِيْنَ يَّعْمَلُوْنَ فِي الْبَحْرِ فَاَرَدْتُ اَنْ اُعِيْبَهَا وَكَانَ وِرَآءَهُمْ مَّلِكٌ يَّاخُذُ كُلَّ سَفِيْنَةٍ غَضْبًا﴾^(٣).

١٠ - وقال تعالى: ﴿وَاَيْنَا ثَمُوْدَ النَّاقَةِ مُبْصِرَةً﴾^(٤).

١١ - وقال تعالى: ﴿مَا اَتَّخَذَ اللّٰهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ اِلَهٍ اِذَا لَذَهَبَ كُلُّ اِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلٰى بَعْضٍ﴾^(٥).

١٢ - وقال تعالى في حكاية موسى عليه السلام مع ابنتي شعيب عليه السلام: ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّيَ اِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ اِنِّى لِمَا اَنْزَلْتَ اِلَیَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيْرٌ﴾^(٦) فجاءته اُحدُهُمَا تَمْشٰى عَلٰى اَسْتَحْيَاۗءٍ قَالَتْ اِنَّكِ اَبٰى يَدْعُوْكَ لِجَزِيْكَ اَجْرَ مَا سَفَيْتَ لَنَا^(٦).

البيان:

* إيجاز القصر

في قول الله تعالى: ﴿اَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْاَمْرُ﴾ الحكم على كل شيء أنه لله وحده، فلا شيء من الموجودات جميعها لا تشملُهُ كلمة (الخلق)، ولا شيء من الأحداث والأحوال جميعها لا تشملُهُ كلمة (الأمر)، فالكلمتان: (الخلق) (الأمر) استوعبتا كل الأشياء والأحوال على وجه

(١) سورة يوسف (٨٥).

(٢) سورة المائدة (٣).

(٣) سورة الكهف (٧٩).

(٤) سورة الإسراء (٥٩).

(٥) سورة (المؤمنون) (٩١).

(٦) سورة القصص (٢٤) و (٢٥).

الاستقصاء. رُوِيَ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَرَأَهَا فَقَالَ «مَنْ بَقِيَ لَهُ شَيْءٌ فَلْيُطْلَبْهُ»
فهذه العبارة على قَصَرِهَا استوعبت ما لا حصرَ له من المعاني، فاللفظ قصيرٌ، والمعنى كثيرٌ.
وفي المثال الثاني ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ﴾ بيانٌ لأثر القصاص في المجتمع لا يمكنُ
التعبيرُ عنه إلاَّ بألفاظٍ كثيرة، فمعنى التعبيرِ القرآني ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ﴾ أنه إذا قُتِلَ القاتِلُ
قصاصاً امتنع غيره عن القتلِ، فأوجب ذلك حياةَ الناسِ. فالمعاني الكثيرة أدَّتْها عبارةٌ قصيرةٌ.
تأمل قولَ الرسولِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - للرجل الذي سأله قولاً شافياً في الإسلام تجد
في قوله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ما لا يُمكنُ أن يضافَ إليه، ففي قوله (آمنتُ بالله) تعبيرٌ عن كلِّ
ما يتصلُ بالجانبِ العقدي في الإسلام وفي قوله (استقم) تعبيرٌ عن كلِّ ما يتصلُ بالجانبِ العمليِّ
في حياةِ المسلم، وهل الإسلامُ إلا سلوكٌ يحكمُهُ إيمانٌ بالله؟

انظر في المثال الرابع «إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا» تجد معاني الحديث الشريف أكثرَ من ألفاظه،
فالمعنى أَنَّ مِنْ بِلَاغَةِ الْقَوْلِ مَا يَعْمَلُ عَمَلُ السَّحْرِ فَيُظْهِرُ الْبَاطِلَ فِي صُورَةِ الْحَقِّ، وَالْحَقُّ فِي صُورَةِ
الْبَاطِلِ بَعْدَ أَنْ يَسْلُبَ الْمُتَلَقِّي قُدْرَتَهُ عَلَى التَّمْيِيزِ، وَيَجْعَلُهُ أُسِيرًا مَا يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِ الْبَيَانِ.
وهذا النوعُ من الإيجازِ الذي هو تقليلُ الألفاظِ وتكثيرُ المعاني، أو هو تضمينُ العباراتِ
القصيرةِ معانيَ كثيرةً من غيرِ حذفٍ، أو هو الذي لا يمكنُ التعبيرُ عن معانيه بألفاظٍ أخرى مثلها
وفي عدَّتِها - يُسمَّى إيجازَ قَصَرٍ، وهذا النوعُ من الإيجازِ يقولُ عنه ابنُ الأثير: «هو أعلى طبقاتِ
الإيجازِ مكاناً وأعزُّها إمكاناً، وإذا وُجِدَ في كلامٍ بعضُ البلغاءِ فإنما يوجدُ شاذاً نادراً».
وإيجازُ القَصَرِ على نُدرَتِهِ في كلامِ البلغاءِ يكثرُ في القرآنِ الكريمِ والحديثِ الشريفِ، ومن
ذلك الأمثلةُ من الأولِ إلى الرابعِ.

اقرأ المثالَ الخامسَ تجد الأعرابيَّ قد حمَلَ عبارته القصيرةَ معاني كثيرةً، إذ إنه يعني بقوله:
«جعلوا أموالهم مناديلَ لأعراضهم» أَنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ يَبْذُلُونَ أَمْوَالَهُمْ حِمَايَةً لِأَعْرَاضِهِمْ.
وفي قولِ الرشيدِ في المثالِ السادسِ: «أُنْبِتَتْهُمْ الطَّاعَةُ، وَحَصَدَتْهُمْ الْمَعْصِيَةُ» بيانٌ لحالي
البرامكة، فالمعنى: أَكْسَبَتْهُمْ الطَّاعَةُ مَا نَعَمُوا بِهِ مِنْ غَنَى وَجَاهٍ وَسُلْطَانٍ، وَأَوْرَثَتْهُمْ التَّمَرُّدَ وَالْعَصْيَانَ

ما شقوا به من فقرٍ وذُلٍّ وانحطاطٍ حالٍ، ففي كلمةٍ (أنبتهم) جميعُ أسبابِ الرخاءِ والنعيمِ، وفي كلمةٍ (حصدتهم) جميعُ مظاهرِ الذلِّ والشقاءِ.

فالإيجازُ في الأمثلةِ الستةِ الأولى قد تحقَّقَ بتضمينِ العباراتِ القصيرةِ معانيَ كثيرةً من غيرِ حذفٍ، وهذا النوعُ من الإيجازِ يُعرَفُ بإيجازِ القِصَرِ.

* إيجاز الحذف:

تأمل المثالَ السابعَ تجد المعنى أنَّ بني يعقوبَ يُقسِمونَ له أنه لا يزالُ يذكرُ يوسفَ حتى يوشكَ على الهلاكِ أو يهلكَ بالفعلِ، وهذا المعنى يقتضي أن يكونَ القولُ (تالله لا تفتأ...) ولكنَّ حرفَ النفي (لا) حُذِفَ من النصِّ الكريمِ لدلالةِ المعنى عليه. فالمحذوفُ من الآيةِ الكريمةِ حرفٌ، والذي سوَّغَ حذفَهُ دلالةُ المعنى عليه، وعلى هذا جاء قولُ أبي محجنِ الثقفيِّ وقد أقلعَ عن شربِ الخمرِ، وقرَّرَ اجتنابَها:

فلا والله أشربُها حياتي ولا أسقي بها أبداً نديماً
يريدُ: (لا أشربُها)، فحذف (لا) من الكلامِ وهي مفهومةٌ منه. فالإيجازُ هنا تحقَّقَ بحذفِ ما يُستغنى عن ذكرِهِ.

وفي المثالِ الثامنِ بيانٌ لجزاءِ الذين يحاربونَ شريعةَ الله ورسولِهِ، ويسعونَ في الأرضِ فساداً، ولكنَّ التعبيرَ القرآنيَّ جعلهم يحاربونَ الله، والحقيقةُ أنهم يحاربونَ شريعةَ الله، ولكنَّ حَذْفَ المضافِ (شريعة) جعلهم في مواجهةٍ مع الله ليتضحَ ما سيلقونَ من الخسرانِ المبينِ، فالإيجازُ هنا تمَّ بحذفِ ما يُفهمُ من الكلامِ، ولكنَّ الحذفَ كانَ أبلغَ من الذكرِ.
ومن ذلك قولُ الله تعالى على لسانِ أبناءِ يعقوبَ عليه السلامُ:

﴿وَسَأَلَ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَدِيقُونَ﴾^(١). إذ المقصودُ (واسأل أهل القرية... وأصحاب العير) ^(٢) فحذفِ المضافِ (أهل) و (أصحاب) لدلالةِ السِّياقِ

(١) سورة يوسف (٨٢).

(٢) العير: الإبلُ التي تحملُ المتاعَ.

عليهما إذ لا يكون السؤال لغير العاقل، ولكن الحذف كان أبلغ من الذكر، فظاهر الآية يعني أن يعني أن غير العاقل يدرك صدق قولنا فما بالك بمن يعقل؟

تدبر المثال التاسع تجد أن العبد الصالح تعمّد إعاية السفينة التي يعمل عليها في البحر مساكين لا غنى لهم عنها، وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصباً، فما ظنك بالسفن التي كان الملك يأخذها؟ إنها - ولا شك - السفن الصالحة، فأصل العبارة (وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصباً)، فحذفت الصفة (صالحة) لدلالة السياق عليها، وهذه الصفة المحذوفة أضافت إلى المعنى ما هو زائد على اللفظ ليتحقق الإيجاز بالحذف.

وفي المثال العاشر نستدل على معنى زائد على اللفظ، فليس المراد أن الناقة كانت مبصرة، ولم تكن عمياء، ولكن المراد أنها كانت آية مبصرة أي يستبصر بها، وإنما استدل على المحذوف من صفته التي قامت مقامه.

ولا يقف الإيجاز بالحذف عند حدود حذف كلمة كما لاحظنا في الأمثلة السابقة من السابع إلى العاشر، ولكنه يتعدى ذلك إلى حذف جملة أو أكثر، فكلمة (إذن) ^(١) في المثال الحادي عشر ﴿ مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ (٢). في سياقها تدل على شرط محذوف، لأن تقدير الكلام: (إذ لو كان معه آلهة لذهب كل إله بما خلق ولعل بعضهم على بعض)، فالجواب المصدّر بإذن جاء دليلاً على الشرط المحذوف. ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ (٣). أي: إذ لو فعلت ذلك لارتاب المبطلون.

(١) تنوين (إذا) الجوابية يُكتب ألفاً في رأي البصريين لأن الوقف عليها بالألف، ويكتب نوناً في رأي الكوفيين للترقية بينها وبين (إذا) الفجائية و (إذا) الظرفية.

(٢) سورة المؤمنون (٩١).

(٣) سورة العنكبوت (٤٨).

اقرأ قولَ الله تعالى في حكاية موسى - عليه السَّلام - مع ابنتي شُعَيْب - عليه السَّلام - ﴿ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ٢٤ ﴾ فجاءته إحداهما تمشي على أَسْتَحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّكِ ابْنِي يَدْعُوكَ لِجَزْيِكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۖ . تجد أن التابع المنطقي للأحداث يكشف عن جملٍ محذوفٍ، إذ التسلسل الطبيعي للحدث أن يقال: فذهبتا إلى أبيهما، وقصتا عليه ما كان من أمر موسى، فأرسل إليه، «فجاءته إحداهما تمشي على أستحياء...» فالإيجاز هنا تم بحذف جملٍ عدة دلَّ عليها السياق دلالة واضحة بحيث يعدُّ حذفها أكثر إبانةً من ذكرها إذ يُصاغ المحذوف في خيال المتلقي صوغاً نابعاً من ذاته غير مُجانب للصواب.

ومثل ذلك قولُ الله تعالى في قصة سليمان والهدهد وإرسال النبي كتاباً إلى بلقيس: ﴿ قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ٢٧ ﴾ أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقَاهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ٢٨ ﴾ قَالَتْ يَأْتِيهَا الْمَلَأُؤُا إِلَيَّ أُلْقَى إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ٢٩ ﴾ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ٣٠ ﴾ أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَىٰ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ ٣١ ﴾ (١).

فالمحذوف هنا أكثر من جملة، ونظم الكلام من غير حذف أن يقال: فأخذ الهدهد الكتاب، وذهب به إلى بلقيس، ولما ألقاه إليها قرأته، وقالت: ﴿ قَالَتْ يَأْتِيهَا الْمَلَأُؤُا إِلَيَّ أُلْقَى إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ٢٩ ﴾ (٢).

الخلاصة:

- الإيجازُ جَمْعُ المعاني المتكاثرة تحت اللفظ القليل مع الإبانة والإفصاح، وهو نوعان:
- أ - إيجازُ قِصَرٍ، ويكون بتضمين العبارات القصيرة معاني كثيرة من غير حذف.
- ب - إيجازُ حَذَفٍ، ويكون بحذف كلمة (٢) أو جملة أو أكثر مع قرينة تعيّن المحذوف.
- إيجازُ القِصَرِ كثيرٌ في القرآن الكريم والحديث الشريف، نادرٌ في غيرهما.
- لا بدّ في إيجاز الحذف من قرينة تعيّن المحذوف.

(١) سورة النمل (٢٧ - ٣١).

(٢) الكلمة المحذوفة قد تكون حرفاً، وقد تكون فعلاً، وقد تكون اسماً، والاسم المحذوف قد يكون مضافاً، وقد يكون موصوفاً، وقد يكون صفةً.

١ - بَيِّنْ نَوْعَ الْإِيجَازِ فِي كُلِّ مِمَّا يَأْتِي مَعَ ذِكْرِ السَّبَبِ:

أ - قال تعالى: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ ^(١).

ب - وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا ﴾ ^(٢).

ج - قيل لأعرابي يسوق مالا ^(٣) كثيرا: لمن هذا المال؟ فقال: لله في يدي.

٢ - بَيِّنْ جَمَالَ الْإِيجَازِ فِي كُلِّ مِمَّا يَأْتِي:

أ - قال تعالى: ﴿ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴾ ^(٤).

ب - وقال تعالى: ﴿ وَالْفُلْكَ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ ﴾ ^(٥).

ج - وقال صلى الله عليه وسلم: «حُبُّكَ الشَّيْءَ يُصِمُّ وَيُعَمِّي».

٣ - لِمَاذَا يُعَدُّ الْإِيجَازُ فِيمَا يَأْتِي إِيجَازَ قِصَرٍ لَا إِيجَازَ حَذْفٍ؟

- يقول الله تعالى في وصف الجنة: ﴿ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَكْدُّ الْأَعْيُنُ ﴾ ^(٦).

٤ - قَدِّرِ الْمَحْذُوفَ فِي كُلِّ مِمَّا يَأْتِي:

أ - قال تعالى: ﴿ قَ وَالْقُرْءَانِ الْمَجِيدِ ﴾ ^(٧) بَلْ يُحِبُّونَ أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ.

ب - وقال تعالى: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ أَسْوَدَتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ ^(٨).

ج - وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَنْوِبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴾ ^(٩).

ء - وقال تعالى: ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ ^(١٠).

(٨) سورة آل عمران الآية (١٠٦).

(٩) سورة الفرقان (٧١).

(١٠) سورة الفجر (٢٢).

(١) سورة الأعراف (١٩٩).

(٢) سورة الرعد (٣١).

(٣) المال: كل مملكته، ويطلق عند الأعراب على الإبل.

(٤) سورة النازعات (٣١).

(٥) سورة البقرة (١٦٤).

(٦) سورة الزخرف (٧١).

(٧) سورة ق (٢-١).

٥ - بَيَّنْ ما في الأقوالِ الآتيةِ من جمالٍ:

أ - المَرْءُ بأصغرية: قلبه، ولسانه.

ب - المَرْءُ مخبوءٌ تحت لسانه.

ج - كَتَبَ المنصورُ إلى عاملِهِ على الهنْدِ وقد شَغَبَ عليه جَنْدُهُ، وكسروا أَقْفالَ بَيْتِ المالِ:
«لو عدلتَ لم يشغبوا، ولو وفيتَ لم يتتهبوا».

٦ - اختر الروايةَ الأَجْمَلَ مما يأتي مع بيانِ السببِ:

يقول عنترةُ بنُ شدادٍ:

هَلَّا سَأَلْتُ الخَيْلَ يا ابْنَةَ مالِكٍ إِنْ كُنْتَ جاهِلَةً بما لم تعلّمي
يُخْبِرُكَ مِنْ شَهِدِ الوقِيعَةِ أَنّني أَغشى الوغى وأَعْفُ عندَ المَغْنَمِ

وفي رواية: «هَلَّا سَأَلْتُ القَوْمَ....»

الإطناب

مِمَّا أَثَرَ عَنْ السَّابِقِينَ فِي تَعْرِيفِ الْبَلَاغَةِ قَوْلُهُمْ: «الْبَلَاغَةُ: الْإِيجَازُ فِي غَيْرِ عَجْزٍ، الْإِطْنَابُ فِي غَيْرِ خَطَلٍ».

وَحَيْرُ تَفْسِيرٍ لِهَذَا الْقَوْلِ مَا ذَكَرَهُ أَبُو هَلَالٍ الْعَسْكَرِيُّ فِي كِتَابِهِ «الصَّنَاعَتَيْنِ» فِي مَعْرِضِ كَلَامِهِ عَنْ الْحَاجَةِ إِلَى الْإِيجَازِ وَالْإِطْنَابِ إِذْ قَالَ: «وَالْقَوْلُ الْقَصْدُ أَنَّ الْإِيجَازَ وَالْإِطْنَابَ يُحْتَاجُ إِلَيْهِمَا فِي جَمِيعِ الْكَلَامِ وَكُلِّ نَوْعٍ مِنْهُ، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مَوْضِعٌ، فَالْحَاجَةُ إِلَى الْإِيجَازِ فِي مَوْضِعِهِ كَالْحَاجَةِ إِلَى الْإِطْنَابِ فِي مَكَانِهِ. فَمَنْ أزالَ التَّدْبِيرَ فِي ذَلِكَ عَنْ جِهَتِهِ، وَاسْتَعْمَلَ الْإِطْنَابَ فِي مَوْضِعِ الْإِيجَازِ، وَاسْتَعْمَلَ الْإِيجَازَ فِي مَوْضِعِ الْإِطْنَابِ فَقَدْ أَخْطَأَ»^(١).

وَيُمَيِّزُ أَبُو هَلَالٍ بَيْنَ الْإِطْنَابِ وَالتَّطْوِيلِ بِقَوْلِهِ: «فَالْإِطْنَابُ بَلَاغَةٌ، وَالتَّطْوِيلُ عَيٌّْ، لِأَنَّ التَّطْوِيلَ بِمَنْزِلَةِ سُلُوكٍ مَا يَبْعُدُ جَهْلًا بِمَا يَقْرُبُ، وَالْإِطْنَابُ بِمَنْزِلَةِ سُلُوكٍ طَرِيقٍ بَعِيدٍ نَزْهٍ يَحْتَوِي عَلَى زِيَادَةٍ فَائِدَةٍ»^(٢).

أَمَّا ضِيَاءُ الدِّينِ بْنُ الْأَثِيرِ فَيَقُولُ بَعْدَ تَعْرِيفِهِ لِكُلِّ مِنَ الْإِيجَازِ وَالْإِطْنَابِ وَالتَّطْوِيلِ: «إِنَّ مِثَالَ الْإِيجَازِ وَالْإِطْنَابِ وَالتَّطْوِيلِ مِثَالُ مَقْصَدٍ يُسَلِّكُ إِلَيْهِ فِي ثَلَاثَةِ طَرِيقٍ، فَالْإِيجَازُ هُوَ أَقْرَبُ الطَّرِيقِ الثَّلَاثَةِ إِلَيْهِ، وَالْإِطْنَابُ وَالتَّطْوِيلُ هُمَا الطَّرِيقَانِ الْمَتَسَاوِيَانِ فِي الْبُعْدِ إِلَيْهِ. إِلَّا أَنَّ طَرِيقَ الْإِطْنَابِ يَشْتَمِلُ عَلَى مَنْزَلِهِ مِنَ الْمَنَازِلِ لَا يَوْجَدُ فِي طَرِيقِ التَّطْوِيلِ»^(٣).

فَالْإِطْنَابُ كَمَا يُفْهَمُ مِنْ كَلَامِ أَبِي هَلَالٍ وَابْنِ الْأَثِيرِ وَغَيْرِهِمَا مِنَ الْبَلَاغِيِّينَ كَالسَّكَكِيِّ وَالْخَطِيبِ الْقَزْوِينِيِّ هُوَ «زِيَادَةُ اللَّفْظِ عَلَى الْمَعْنَى لِفَائِدَةٍ».

فَوَائِدُ الْإِطْنَابِ فَلْتَدَبَّرِ الْأَمْثَلَةَ الْآتِيَةَ:

(١) كِتَابُ الصَّنَاعَتَيْنِ ص ١٩٠.

(٢) كِتَابُ الصَّنَاعَتَيْنِ ص ١٩١.

(٣) كِتَابُ الْمَثَلِ السَّائِرِ ص ٢١٧.

١ - قَالَ تَعَالَى: ﴿فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَتَّعَادِمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى﴾ ^(١).

٢ - وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَمَّا مَّا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَّا مَّا تَعْلَمُونَ وَيَنِينَ﴾ ^(٢).

٣ - قَالَ تَعَالَى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾ ^(٣).

٤ - وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَنِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ﴾ ^(٤).

٥ - قَالَ تَعَالَى: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ ^(٥).

٦ - اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَالنَّبِيِّينَ.

٧ - قَالَ تَعَالَى: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٢﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ^(٦).

٨ - وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا آتَوْا وَيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ﴾ ^(٧).

٩ - وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيِّنًا وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿١٨﴾ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ ^(٨).

(١) سورة طه (١٢٠).

(٢) سورة الشعراء (١٣٢ - ١٣٣).

(٣) سورة البقرة (٢٣٨).

(٤) سورة النحل (٩٠).

(٥) سورة نوح (٢٨).

(٦) سورة التكاثر (٣-٤).

(٧) سورة آل عمران (١٨٨).

(٨) الأعراف (٩٧-٩٩).

١٠ - قال الحسين بن مطير في رثاء معن بن زائدة:

فيا قبرَ معنٍ أنت أولُ حفرةٍ من الأرض خُطَّتْ للسماحةِ موضعا
ويا قبرَ معنٍ كيف وارىتَ جوده وقد كان منه البرُّ والبحرُ مُترعا

* * *

١١ - قالت الخنساء في أخيها صخر:

وإنَّ صخرًا لتأتُمُ الهداةُ به كأنَّه علمٌ في رأسه نارٌ

١٢ - وقال مروان بن أبي حفصة:

هم القومُ إن قالوا أصابوا وإن دُعوا أجابوا وإن أعطوا أطابوا وأجزلوا

* * *

١٣ - قال تعالى في خطابه لموسى عليه السلام: ﴿ أَسْلَكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخَرُّجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ
سُوءٍ ﴾^(١).

١٤ - قال ابن المعتز في وصف فرس:

صَبَبْنَا عَلَيْهَا - ظَالِمِينَ - سِاطِنًا فطارتُ بها أَيْدٍ سِرَاعٌ وَأَرْجُلُ

* * *

١٥ - قال تعالى: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَنَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ﴾^(٢).

(١) سورة القصص (٣٢).

(٢) النحل (٥٧).

١٦ - وقال تعالى: ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ ۖ (٧٥) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّو تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ۖ (٧٦) إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ۖ (٧٧) فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ۖ (١) ۖ

١٧ - قال عباس بن الأحنف:

إِنْ تَمَّ ذَا الْهَجْرُ يَا ظُلُومُ - وَلَا تَمَّ - فَمَا لِي فِي الْعِيشِ مِنْ أَرْبٍ

١٨ - وقال الشاعر:

وَاعْلَمَ - فَعَلِمُ الْمَرْءُ يَنْفَعُهُ أَنْ سَوْفَ يَأْتِي كُلُّ مَا قُدِرَا (٢)

١٩ - قال تعالى: ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ۖ (٣) ۖ

٢٠ - وقال تعالى: ﴿ وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي ۚ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ۖ (٤) ۖ

٢١ - وقال تعالى: ﴿ ذَلِكَ جَزَيْنَهُمْ بِمَا كَفَرُوا ۖ وَهَلْ نُجْزِي إِلَّا الْكَافِرَ ۖ (٥) ۖ

البيان :

إذا كان الإطناب هو زيادة اللفظ على المعنى لفائدة - فإن بلاغة الإطناب تتمثل في إدراك تلك الفائدة التي لا تتحقق إلا به. فما فوائد الإطناب؟

تأمل المثال الأول تجد أن قوله تعالى: ﴿ فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ ۖ ﴾. كلام مجمل يحتاج إلى تفصيل، وكلام مبهم يحتاج إلى إيضاح، فكل ما يفهم من الجملة السابقة ﴿ فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ ۖ ﴾ أن الشيطان أغرى آدم بفعل شيء ما، وأن هذا الإغراء ينطوي على الإضرار بآدم عليه

(١) سورة الواقعة (٧٥-٧٨).

(٢) الألف في (قدرا) للإطلاق.

(٣) سورة الإسراء (٨١).

(٤) سورة يوسف (٥٣).

(٥) سورة سبأ (١٧).

السلام، فالإغراء مفهومٌ من الفعلِ (وسوس)، والإضرارُ مفهومٌ من أنَّ الموسوسَ هو الشيطانُ، ولكننا لا نفهمُ ماذا قال الشيطانُ في وسوستِهِ، ولا يتضحُ ذلك إلا من قوله تعالى: ﴿يَتَّعَادُمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى﴾ إذ جاء هذا القولُ تفصيلاً لما أُجْمِلَ في القولِ السابقِ ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ﴾، وتوضيحاً لإبهامِهِ.

ومثل ذلك قوله تعالى في المثالِ الثاني: ﴿أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَمٍ وَبَيْنَ﴾ بعد قوله تعالى ﴿أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ﴾ إذ جاءت العبارة الثانية توضيحاً لما أبهم في العبارة الأولى.

فالغرض من الإطناب في المثالين الأول والثاني هو (الإيضاح بعد الإبهام).

ومن الإيضاح بعد الإبهام ما يعرف بالتوشيع، وهو أن يُؤتى في عجزِ الكلام غالباً (١) بمثنى مفسّرٍ باسمين أحدهما معطوفٌ على الآخر، وذلك كقولِ الرسولِ - صَلَّى اللهُ عليه وسلم: «لا يزال قلب الكبير شاباً في اثنتين: في حب الدنيا وطول الأمل» (٢). ومنه، شعراً، قولُ شوقي:

الناسُ صنفان: موتى في حياتهم وآخرون ببطنِ الأرضِ أحياءُ

تأمل المثالَ الثالثَ تجد الأمرَ بالمحافظةِ على الصلواتِ جميعها قد تحقق بقوله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ﴾، والصلاةُ الوسطى إحدى الصلوات الخمس، فلمْ ذُكِرَت الصلاةُ الوسطى بعد الصلواتِ وهي واحدةٌ منها؟ إنما جاء الإطنابُ هنا بذكر الخاصِّ بعد العامِّ للتنبيهِ على فضل الخاصِّ وزيادة التنويهِ بشأنِهِ، وكأنه ليس من جنسِ العامِّ، فإفرادُ الصلاةِ الوسطى بعد الصلواتِ جعل الأمرَ بالمحافظةِ على الصلاةِ يقعُ على الصلاةِ الوسطى مرّتين، وخصّها دون سائرِ الصلواتِ باهتمامٍ يُبرزُ فضلها.

(١) وقد يأتي في وسط الكلام وقد يأتي في أوله، وقد تكون الأسماء ثلاثة كما في قول محمد بن وهيب:

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها شمس الضحا وأبو إسحاق والعمرة

(٢) صحيح البخاري/ كتاب الرقاق/ حديث ٥٩٤١.

ومن المثال الرابع ذكر إيتاء ذي القربى بعد الإحسان الذي يشملُه، فإيتاء ذي القربى نوع من الإحسان، وإنما أفاد ذكره تنويهاً بشأنه وتنبيهاً على فضله، وكذلك ذكر المنكر والبغي بعد الفحشاء، وهما يندرجان تحتها، ففي المثالين: الثالث والرابع تحقق الإطناب بذكر الخاص بعد العام للتنبيه على فضل الخاص وزيادة التنويه بشأنه.

انظر في المثال الخامس تجد الداعي بعد أن طلب المغفرة لنفسه، ولوالديه ولمن دخل بيته مؤمناً - طلبها للمؤمنين والمؤمنات. وهو ووالداه ومن دخل بيته مؤمناً بعض المؤمنين والمؤمنات، وإنما ذكر العام بعد الخاص لإفادة العموم مع العناية بشأن الخاص لذكره مرتين. وفي المثال السادس ذكر للنبيين بعد محمد - صلى الله عليه وسلم - وهو واحد منهم لإفادة عموم النبيين في طلب الصلاة عليهم مع العناية بشأن محمد صلى الله عليه وسلم.

تأمل الأمثلة من السابع إلى العاشر تجد التكرار ظاهرة مُطَرِّدَةً فيها جميعها، ولكن دواعي التكرار مختلفة، فهو في المثال السابع لتأكيد الإنذار، أما سببه في المثال الثامن فطول الفصل بين الكلام ومتعلّقه خشية أن يكون ذهنُ قد غفلَ عمّا ذكرَ أوّلاً. وفي المثال التاسع تكرارٌ في معرض الإنذار لتقرير المعنى في نفوس السامعين. أما المثال العاشر فقد جاء التكرار فيه في مقام النذبة إظهاراً للتحسّر. إذن الأمثلة من السابع إلى العاشر فيها إطنابٌ بالتكرار، والتكرار كان لداعٍ، هو الإنذار في المثالين: السابع، والتاسع، وطول الفصل في المثال الثامن، والتحسّر في المثال العاشر، فالإطناب بالتكرار يكون بتكرير المعاني والألفاظ للدلالة على العناية بالشيء مبالغة في مدحه أو ذمه أو غير ذلك.

تأمل المثالين: الحادي عشر والثاني عشر تجد المعنى في بيت الخنساء قد تمّ عند قولها: «كَأَنَّهُ عَلَّمَ»، ولكنها لم تكتفِ في تشبيه أخيها الذي ياتم الهداة به بالعلم وهو الجبل المرتفع المعروف بالهداية، ولكنها أوغلت بقولها: «في رأسه نار» فأضافت بهذه الزيادة إلى معنى البيت

معنى جديداً فضلاً عن إعطائها البيتَ قافيتُهُ، وكذلك قولُ مروان بن أبي حفصةَ في المِثالِ الثاني عشر، فقوله: «وأجزلوا» إيغالُ أعطى البيتَ قافيتُهُ، وأضاف إلى معناه التامَّ معنى جديداً هو أنهم عندما يعطون يعطون الطيبَ الجزيلَ. وهذا النوعُ من الإطناب يُعرَفُ بالإيغال،^(١) وهو ختمُ البيتِ أو الفاصلةِ بكلمةٍ أو عبارةٍ يتمُّ المعنى بدونها ولكنها تعطي البيتَ قافيتُهُ والفاصلةَ سجعها، وتضيف إلى معناهما التامَّ معنى زائداً.

اقرأ قولَ الله تعالى لموسى عليه السلامُ في المِثالِ الثالثِ عشر تجد المعنى بغيرِ قوله تعالى: ﴿مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ وموهماً أن يكون ذلك البياضُ لمرضٍ كالبرصِ أو سوءٍ أصاب اليدَ، فأتى بقوله ﴿مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ لدفعِ هذا الإيهام، فالإطنابُ هنا كان احتراساً لتخليصِ الكلامِ مما يوهمُ خلافَ المقصودِ. من ذلك قولُ ابنِ المعتزِّ في وصفِ الفرسِ، إذ جاءت كلمة (ظالمين) احتراساً من توهم السامعِ أن فرساً ابنِ المعتزِّ كانت بليدةً تستحقُّ الضربَ. ففائدةُ الإطنابِ في المِثالين هي الاحتراسُ والإطنابُ بالاحتراسِ يكونُ حينما يأتي المتكلمُ بمعنى يمكنُ أن يدخلَ عليه فيه لَوْمْ، فيفطنُ لذلك، ويأتي بما يخلِّصُه منه.

تدبر الأمثلةَ من الخامسَ عشرَ إلى الثامنَ عشرَ تجد في كل منها جملةً أو أكثرَ جاءت معترضةً في أثناءِ الكلامِ، فما فوائدُ الإطنابِ بالاعتراضِ؟

في المِثالِ الخامسَ عشر جاء قوله تعالى: «سبحانه» معترضاً في أثناءِ الكلامِ للمسارعةِ إلى تنزيهِ الله تبارك وتعالى مما نُسِبَ إليه، فالإتيانُ بالكلامِ على أصله لا يبرزُ ذلك التَّنزيهَ الذي يقتضي الموقفَ المسارعةَ إليه.

أما في المِثالِ السادسَ عشر فقد جاءت جملةُ ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّوَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ معترضةً بين القسمِ وجوابِهِ لتعظيمِ القسمِ بمواقعِ النجومِ وتفخيمِ أمرِهِ، وفي ذلك تعظيمٌ للمقسمِ عليه وتنويهٌ برفعةِ شأنِهِ وهو القرآنُ الكريمُ، فالإطنابُ بالاعتراضِ هنا للتعظيمِ.

(١) يندر وقوع الإيغال في النثر.

وفي بيت العباس بن الأحنف اعتراض بين الشرط وجوابه بقوله: «ولاتم» إذ إنه حين ذكر الهجر فرع داعياً ألا يتم، فالإطناب بالاعتراض هنا كان للدعاء.

وفي المثال الثامن عشر جاءت جملة «فعلُ المرء ينفعه» معترضة بين الفعل ومفعوله للتنبيه على فضل العلم وعظيم نفعه، فالإطناب بالاعتراض هنا غايته التنبيه على أمر من الأمور. تدبر قول الله تعالى: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ تجد قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ يتضمن معنى ما سبقه تأكيداً له ولكنك تلاحظ أن القول الكريم ﴿إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ يمكن أن يستقل بنفسه ويؤدي معنى في ذاته، ويصح أن يُلقى في سياقات أخرى ومواقف شبيهة بالموقف الذي سبق فيه وكأنه مثل له مضرب يُقال فيه، ولذا يُقال عن هذا النوع من الإطناب: إنه تذييل جارٍ مجرى المثل.

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾، فقوله تعالى: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ يشتمل على معنى الجملة السابقة ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي﴾ وقد عقب به عليها تأكيداً لمعناها. وإذا تأملنا جملة التذييل ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ وجدناها مستقلة بمعناها، لا يتوقف فهمها على فهم ما قبلها، فهي إطنابٌ بالتذييل جارٍ مجرى المثل.

أما ما ورد في المثال الحادي والعشرين من قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ جَزَاءُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَهُمْ يُجْزَوْنَ إِلَّا الْكُفُورَ﴾ وإن اشتمل على تذييل بقوله تعالى: ﴿وَهُمْ يُجْزَوْنَ إِلَّا الْكُفُورَ﴾ فليس كالتذييل الذي سبقه، لأنه مع تأكيد المعنى السابق عليه لا يفهم إلا في سياقه لأن المجازاة قد تكون بخير وقد تكون بشر، وقد فهمت طبيعتها هنا مما تقدم عليها، فقوله تعالى: ﴿وَهُمْ يُجْزَوْنَ إِلَّا الْكُفُورَ﴾ تذييل، ولكنه لا يستقل بمعناه، ولا يفهم الغرض منه إلا بمعونة ما قبله، ولذلك يقال عنه: إنه تذييل غير جارٍ مجرى المثل.

- الإطنابُ زيادةُ اللفظِ على المعنى لفائدة، ويكونُ بأمرٍ عدةٍ منها:
- ١ - الإيضاحُ بعد الإبهام لتقرير المعنى في ذهن السامع.
- ٢ - ذكرُ الخاصِّ بعد العامِّ للتنبيه على فضل الخاصِّ.
- ٣ - ذكرُ العامِّ بعد الخاصِّ لإفادة العموم مع العناية بشأن الخاصِّ.
- ٤ - التكرارُ لداعٍ كتأكيد الإنذار، وكطول الفصل، وكالتحسُّر.
- ٥ - الإيغالُ، وهو ختمُ البيتِ أو الفاصلةِ بكلمةٍ أو عبارةٍ يتمُّ المعنى بدونها، ولكنها تعطي البيتَ قافيتهُ، والفاصلة سجعها، وتضيفُ إلى المعنى التامَّ معنى زائداً^(١).
- ٦ - الاحتراسُ، ويكونُ حينما يأتي المتكلمُ بمعنى يمكن أن يدخلَ عليه فيه لَوْمْ، فيفطنُ لذلك، ويأتي بما يخلصُه منه.
- ٧ - الاعتراضُ، وهو أن يُؤْتَى بين جزأين متضامين من كلام، أو بين كلامين متّصلين في المعنى بجملةٍ معترضةٍ أو أكثر لفائدةٍ سوى دفع الإبهام^(٢)، ومن هذه الفوائد التنزيه، والتعظيم، والدعاء، والتنبيه على أمرٍ من الأمور، والتحسُّر^(٣).
- ٨ - التذييلُ، وهو تعقيبُ الجملةِ بجملةٍ أخرى تشتملُ على معناها توكيداً لها، وهو ضربان:

- أ - جارٍ مجرى المثلِ إن استقلَّ معناه، واستغنى في فهمه عما قبله.
- ب - غيرُ جارٍ مجرى المثلِ إن لم يستقلَّ معناه، ولم يُستغنَ في فهمه عما قبله.

(١) لو لم يضاف الإيغالُ إلى الكلام معنى زائداً لكان عيباً.

(٢) يجب أن يكونَ للبلغ في الاعتراضِ غرضٌ يرمى إليه غير دفع الإبهام، فإن كان الغرضُ دفع الإبهام كان احتراساً.

(٣) من الإطناب بالاعتراض للتحسُّر قول إبراهيم بن المهدي في رثاء ابنه:

وإني - وإن قُدمت قبلي - لعالمٌ
بأني - وإن أُخرتُ - منك قريبٌ

١ - بَيْنَ مَوَاطِنِ التَّذْيِيلِ وَنَوْعِهِ فِي كُلِّ مِمَّا يَأْتِي:

أ - قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ فِي رِثَاءِ وَلَدِهِ:

تَبَدَّلَ دَارًا غَيْرَ دَارِي وَجِيرَةً سِوَايَ وَأَحْدَاثُ الزَّمَانِ تَنُوبُ

ب قَالَ عَتْرَةُ بْنُ شَدَاد:

فَدَعَوْا نَزَالَ فَكُنْتُ أَوَّلَ نَازِلٍ وَعَلَامَ أَرْكَبُهُ إِذَا لَمْ أَنْزَلِ؟

ج - قَالَ الْحُطَيْئَةُ:

تَزُورُ فَتًى يُعْطِي عَلَى الْحَمْدِ مَالَهُ وَمَنْ يُعْطِ أَثْمَانَ الْمُحَامِدِ يُحْمَدِ

هـ - قَالَ ابْنُ نَبَاتَةَ السَّعْدِي:

لَمْ يُبْقِ جُودُكَ لِي شَيْئًا أُؤَمِّلُهُ تَرَكْتَنِي أَصْحَبُ الدُّنْيَا بِلَا أَمَلٍ

هـ - قَالَ أَبُو تَمَامٍ يُعَزِّي الْخَلِيفَةَ فِي ابْنِهِ:

تَعَزَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّهُ لِمَا قَدْ تَرَى يُغْذَى الصَّبِيُّ وَيُولَدُ

هَلِ ابْنُكَ إِلَّا مِنْ سُلَالَةِ آدَمَ^(١) لِكُلِّ عَلَى حَوْضِ الْمَنِيَّةِ مَوْرِدُ

٢ - وَضَحَ الْغَرَضَ مِنَ التَّكْرَارِ فِي كُلِّ مِمَّا يَأْتِي:

أ - قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَقَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ۝٣٨﴾ يَقَوْمِ

إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَّعُ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ۝^(٢)

ب - قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝^(٣)

(١) آدَمُ: اسْمٌ مَمْنُوعٌ مِنَ الصَّرْفِ، وَتَتَوَيْنُهُ هُنَا ضَرُورَةٌ شَعْرِيَّةٌ.

(٢) غَافِرٌ (٣٨-٣٩).

(٣) الشَّرْحُ (٥-٦).

ج - قال عنتر بن شداد:

يدعون عنترَ والرماحُ كأنها أشطانُ بُئرٍ في لبانِ الأدهمِ
يدعون عنترَ والسيوفُ كأنها لَمْعُ البوارقِ في سحابِ مظلمِ

٣ - بَيْنَ مواطنِ الاحتراسِ وسببِ الإتيانِ به في كلِّ مثالٍ مما يأتي:

أ - قالت أعرابيةٌ لرجلٍ:

كَبَتَ اللهُ كُلَّ عَدُوٍّ لَكَ إِلَّا نَفْسَكَ.

ب - قال طرفة بن العبد:

فسقى دياركَ غيرَ مُفسِدِها صوبُ الربيعِ وديمَةٌ تَهْمِي

ج - قال أبو الطيب المتنبي:

إني أصاحبِ حلْمِي وهو بي كرمٌ ولا أصاحبُ حلْمِي وهو بي جُبْنٌ

ء - قال أبو الحسن الجزار في المديح:

ويَهْتَزُّ لِلجَدْوَى إذا ما مَدَحَتْهُ كما اهْتَزَّ - حاشا وَصْفُهُ - شاربُ الخمرِ

٤ - بَيْنَ مواطنِ الإطنابِ وأغراضه فيما يأتي:

أ - قال تعالى: ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ.﴾^(١)

ب - قال تعالى على لسان يوسف عليه السلام: ﴿يَتَابَتِ إِيَّيْ رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾^(٢).

(١) سورة آل عمران (١٠٤)

(٢) سورة يوسف (٤).

ح - قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِلشِّرِّ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ﴾ (٣٤) كُلُّ نَفْسٍ ذَاقَةُ الْمَوْتِ ﴿١﴾.

د - قال أبو الطيب المتنبي:

وتحتقر الدنيا اختقاراً مجرباً
تَرَى كُلَّ مَا فِيهَا - وحاشاك - فانيا

هـ - قال أوس بن حجر:

ولستُ بخابيٍّ أبداً طعاماً
حِذارَ غدٍ لكلِّ غدٍ طعامٌ

و - قال المتنبيُّ في وصفِ شعبِ بؤان (٢).

مَلَاعِبُ جَنَّةٍ لَوْ سَارَ فِيهَا
سَلِيمَانُ (٣) لَسَارَ بِتَرْجُمَانٍ

طَبَّتْ (٤) فُرسَانُنَا والخيلَ حَتَّى
خَشِيتُ وَإِنْ كَرُمْنَ مِنَ الْحِرَانِ (٥)

(١) سورة الأنبياء (٣٤ - ٣٥).

(٢) شعب بؤان: موضعٌ عند شيراز كثيرُ الشجرِ والمياه.

(٣) سليمان: هو النبيُّ الذي علَّم منطقَ الطيرِ، وحكَمَ الإنسَ والجنَّ، وأوتى مُلكاً لم يُؤْتِه الله غيره. وهو اسمٌ ممنوعٌ من الصرفِ..

(٤) طَبَّتْ: دَعَتْ واستمالت.

(٥) الحِرَانُ في الدابةِ أَنْ تَقِفَ مكانها فلا تهرح.

المساواة

المساواة مصدرٌ (ساوى)، تقولُ ساوَيْتُ بين الشيئين إذا جعلتهما يتماثلان ويتعادلان. فإذا جعل البليغُ ألفاظه على قدرِ معانيه يكونُ بذلك مساوياً بين اللفظِ والمعنى، وكأنَّ ألفاظه قوالبٌ لمعانيه.

وإذا كان أبو هلال العسكري والجمهورُ من البلاغيين يرون أنَّ المساواة هي المذهبُ المتوسطُ بين الإيجازِ والإطنابِ - فإنَّ ضياءَ الدين بن الأثير يراها ضرباً من الإيجازِ سمَّاه «الإيجازُ بالتقدير»، وعرفه بأنه الإيجازُ الذي يمكنُ التعبيرُ عن معناه بمثلِ ألفاظه وفي عدَّتِها، أو هو ما ساوى لفظه معناه^(١).

وباستقراء مفهوم المساواة، وبالموازنة بينه وبين مفهومَي الإيجازِ والإطنابِ، نستطيعُ أن نضعَ ضابطاً للمساواة يتمثلُ في أنَّ الزيادة على الألفاظِ في أسلوبِ المساواة تكونُ لغيرِ فائدةٍ وأنَّ أسقاط أيِّ لفظٍ منها يخلُّ بالمعنى.

ولتعرفِ بلاغةِ المساواة فلتدبرِ الأمثلةَ الآتية:

- ١ - قال تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾^(٢).
- ٢ - وقال تعالى: ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ﴾^(٣).
- ٣ - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الحلالُ بينٌ، والحرامُ بينٌ، وبين ذلك أمورٌ مُشْتَبِهَاتٌ»^(٤).
- ٤ - قال النابغة الذبياني في اعتذارَيْته المشهورة للملك النعمان بن المنذر:
وإنك كالليل الذي هو مُدركي وإن خلت أن المنتأى^(٥) عنك واسعُ

(١) المثل السائر ٢١٢.

(٢) سورة الروم (٤٤).

(٣) سورة البقرة (٢٧٥).

(٤) سنن الترمذي/ كتاب البيوع ١١٢٦.

(٥) المنتأى موضعُ البُعدِ، وهو اسمُ مكانٍ من انتأى عنه أي بُعد.

البيان :

تأمل قول الله تعالى في المثال الأول تجذُّهُ شَرْطاً وجزاءه، وقد جاء الجزاء محدداً نتيجة الشرط تحديداً لا نقص فيه ولا زيادة، فالذي كفر ارتكب خطأ يعود عليه بصنوف من الضر والأذى جُمِعَتْ في قوله تعالى: ﴿فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾ وقد جاء اللفظ على قدر المعنى، فلن يكون على مَنْ كَفَرَ سوى كفره، لا يزيد عليه شيء، ولا ينقص من جرائمه شيء.

انظر في المثال الثاني مُعتدّاً بعموم لفظه تجد المعنى أنّ مَنْ استجاب لرَّبِّه فأقلع عن فعل ما نهى عنه ربُّه فإن ما اقترفه من ذنوب سبقت التحريم يكون له لا عليه، أي أنّ ذنوب التائب تنقلب حسنات، وقد جاء اللفظ في القول الكريم على قدر المعنى غير محتاج إلى إضافة، وغير محتمل أي حذف.

وإذا نظرنا في المثال ذاته متعددين بخصوص سببه - وقد جاء القول الكريم في معرض الحديث عن تحريم الربا والتحذير من أكليه - إذا نظرنا فيه بحسب سياقه نجد لفظه مساوياً لمعناه، إذ المعنى أنّ مَنْ استجاب للنهي عن الربا فكفَّ عن أكليه فله ما سبق من ربح قبل التحريم لا يُؤاخذ عليه، فالألفاظ على قدر المعاني.

تأمل قول الرسول - صَلَّى الله عليه وسلم - في المثال الثالث تجذُّهُ من جوامع الكلم، فلا شيء مطلقاً إلا وهو حلال واضح الحل، أو هو حرام واضح الحرمة، أو هو مُشْتَبَهٌ على الناس لا يستطيعون الحكم عليه بحلٍّ أو حرمة. وقد جاءت ألفاظ الحديث الشريف مساوية لتلك المعاني، فالحلال بَيِّنٌ، والحرام بَيِّنٌ، وبينهما أمورٌ مشتهات. فالحكم على الحلال بأنه بَيِّنٌ يكفي للدلالة على وضوح حله والاطمئنان إلى فعله، والحكم على الحرام بأنه بَيِّنٌ يكفي للدلالة على وضوح حرمة والحذر من فعله، وما عدا ذلك أي ما ليس واضح الحل أو الحرمة فتجمعه كلمة (أمور)، وهذه الأمور تقع بين الحلال الواضح والحرام الواضح لا يُدْرَى إلى أيهما هي أقرب، وقد دلَّ على موقع تلك الأمور من الحل والحرمة كلمة (بينهما)، ودل على التردد في

الحكم على تلك الأمور بالحلّ أو، الحرمة كونها أموراً مشتبهاتٍ.

أما قولُ النابغة في المثالِ الرابعِ فمعناه أنَّ النعمانَ بنَ المنذرِ في حالِ سخطِهِ يكونُ كالليلِ الذي لا يخرجُ عن نطاقِهِ موضعٌ، وأنَّ مَنْ أرادَ فراراً منَ النعمانِ فلن يجدَ موضعاً يفرُّ إليه وإنَّ خاله بعيداً، لأنَّ الليلَ سيدركُ كلَّ موضعٍ وإنَّ بُعدَ. فأَيُّ لفظةٍ في بيتِ النابغةٍ يمكنُ أن تُحذفَ مع بقاءِ هذا المعنى؟ وأيُّ لفظةٍ يمكنُ أن تضافَ إلى بيتِ النابغةٍ ولا تُعدُّ تطويلاً معيياً؟ إنَّ ألفاظَ النابغةِ جاءت على قدرِ معانيه، وتلك هي المساواةُ.

الخلاصة:

المساواةُ أن تكونَ المعاني على قدرِ الألفاظِ، والألفاظُ على قدرِ المعاني، لا يزيدُ بعضها على بعضٍ.

- ١ - وَضَّحْ لِمَاذَا تُعَدُّ التَّعْبِيرَاتُ الْآتِيَةُ مِنْ أَسَالِيبِ الْمَسَاوَاةِ:
- أ - قال تعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ ^(١).
- ب - قال تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ ^(٢).
- ج - سئل رسولُ الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : ما الإحسان؟ فقال: «أن تعبدَ اللهَ كأنَّكَ تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك» ^(٣).
- ٢ - اقرأ الأبيات الآتية، ثم اشرحها مبيناً كيف جاءت ألفاظها على قدر معانيها:

ولمّا قضينا من منى كلّ حاجة	ومسّح بالأركان من هو ماسح
وشدّت على دهم المطايا رحالنا	ولم يُنظر الغادي الذي هو رائح
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا	وسالت بأعناق المطيّ الأباطح

(١) البقرة (١١٠).

(٢) فاطر (٤٣)، ومعنى يحيق: يحيط.

(٣) صحيح مسلم/ كتاب الإيمان.

(٤) منى: موضع من الحرم يُصرف ويُمنع من الصرف، وهي هنا مصروفة.

المراجع

- كتابُ الصناعتين
- المثلُ السائرُ
- الإيضاحُ في علومِ البلاغةِ
- علمُ المعاني
- البلاغةُ الواضحةُ
- لأبي هلال العسكري
- لضياء الدين بن الأثير
- للخطيبِ القزوينيِّ.
- للدكتور عبدالعزيز عتيق
- لعلي الجارم ومصطفى أمين

